الفصل الأول : نشأة مدينة صنعاء

أولا : تاريخ مدينة صنعاء

ثانيا : الموقع الجغرافى وأثره على بناء المنازل

ثالثا : تخطيط مدينة صنعاء

obeikandl.com

أولا : تاريخ مدينة صنعاء

صنعاء حاضرة اليمن الخضراء وعاصمة البلاد السعيدة كما أسماها مؤرخوا اليونان : وعروس الجزيرة العربية والجوهرة اليتيمة فى بلاد العرب، واحدى جنان الأرض كما ذكر لسان اليمن الهمدانى وهى أول مدينة اختطت بعد طوفان نوح عليه السلام وسميت باسم مدينة سام نسبة إلى سام بن نوح بانبها [١] كما تعرف أيضا باسم أزال نسبة إلى أزال بن يقطن بن العبير بن عابر بن شالح حفيد سام بن نوح الذى يعتقد كثير من المؤرخين القدامى كالهمدانى ونشوان بن سعيد الحميرى وابن الكلبى انه بناها، ولازال اسم أزال معروفا حتى اليوم ومما يؤكد هذه التسمية أنها وردت فى التوراة بهذا الاسم (ازال) [٢].

---

(١) ابن المجاور : جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب الشيبانى الدمشقى : صفة بلاد اليمن، ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر، تصحيح أوسكر لومقرين، منشورات المدينة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، صفحة ١٧٩

الرازى، أحمد عبدالله، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق الدكتور حسين عبدالله العمرى، دار الفكر، بيروت ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م صفحة ٧٦.

الهمدانى، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الأكليل، الجزء الثانى، تحقيق محمد بن على الأكوع، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، صفحة ٣٤ ـ ٣٦.

(٢) عبد الرحمن الحداد (د) : التراث المعمارى فى صنعاء القديمة، برنامج للحماية والتحسين، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٧، يناير ـ مارس ١٩٨٧م، جماد الأولى ـ رجب ١٤٠٨هـ، صفحة ١٥٥.

وأما تسميتها باسم صنعاء فيرجع إلى سنة ٧٠م فى عهد الملك أمر بن كرب أيل وتار يهنعم ملك سبأ وذو ريدان حيث ورد اسمها فى النقوش التى تعود إلى عصر هذا الملك باسم (هجرن / صنعو) باستبدال الألف واوا كما هى العادة فى كتابة اليمن المعروفة بالخط المسند أما كلمة (هجرن) فتعنى المدينة المقدسة المهجرة التى يحرم الاعتداء فيها على أحد ولو كان عدوا.

كما ورد اسم صنعاء بعد ذلك على نقوش من أيام الملك الحميرى ذمار على يهبر سنة ٩٠م، ثم تواتر ذكرها بعد ذلك فى النقوش مما يدل على ان اسم صنعاء عرف منذ بداية التاريخ الميلادى (١).

أما عن نشأتها وتطورها العمرانى فيعتقد الكثير من المؤرخين أنها بدأت على صورة منزل ثم قرية ثم مدينة (٢) بينما يعتقد (لوكوك) أن مدينة صنعاء بدأت فى تكوينها الأول عبارة عن محطة تجارية على طريق القوافل مما ساعد على على نموها وأزدهارها (٣).

وأيا كانت النشأة الأولى فإن صنعاء لعبت بعد ذلك دورا كبيرا فى السياسة اليمنية القديمة وخاصة أثناء النزاع على عرش سبأ بين ملوك وأمراء الدولة السبئية فى أواخر عهدها وبين ملوك الدولة الحميرية الناشئة حيث كانت صنعاء فى هذه الفترة عاصمة ثانية للدولة السبئية بعد

---

(١) يوسف محمد عبدالله (د) : صنعاء المدينة العربية الإسلامية، نبذة عن تاريخها ودعوة إلى صيانتها مجلة الأكليل، العدد الثانى ١٩٨٦م، صفحة ١٨٤ - ١٨٦.

(٢) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق ص ١٥٥.

(٣) Lewcock, Ronald: The old wolled city of Saa à, Second impression, 1987, Unesco, Printed in Belgium, P. 19.

عاصمتها الأولى مأرب فكانت صنعاء بمثابة نقطة الإنطلاق للجيوش السبئية ضد الجيوش الحميرية وأن كان النصر فى الأخر حليف الدولة الحميرية التى اتخذت من صنعاء مقرا للإنطلاق باتجاه الشرق والشمال لاخضاع بقايا المناطق التى كانت مازالت تحت أيدى امراء الدولة السبئية، وعندما سيطرت الدولة الحميرية على كل أقاليم اليمن اتخذت مدينة ظفار عاصمة لها ومع ذلك بقيت لصنعاء مكانتها السابقة طوال عصر الدولة الحميرية وملوكها الذى كان أخرهم (يوسف اسأر يثأر) المعروف باسم ذى نواس والذى اتخذ من صنعاء مقرا للمملكتة ومنها انطلق لمواجهة الأحباش فى نجران وظفار وتهامة، ولكن جهوده باءت بالفشل فقد تمكن الأحباش من هزيمته وواصلوا تقدمهم نحو صنعاء واحتلوها واتخذها (أبرهة الحبشى) عاصمة لليمن [1] وبنى فيها كنيسة القُليس التى اراد أن يصرف العرب إلى عبادتها بدلا من الكعبة فى مكة المكرمة، وعندما رفض العرب توجه نحو مكة ليهدم الكعبة فأرسل الله عليهم ﴿ **طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ [2].

ولما تمكن سيف بن ذى يزن من طرد الأحباش من اليمن بمساعدة الفرس اتخذ صنعاء عاصمة له ولكن الفرس انقبلوا عليه وقتلوه وتولوا حكم اليمن وتزاوجوا مع أهل اليمن ولذلك عرف المولودون نتيجة هذا التزاوج باسم الابناء باعتبارهم ليسوا من اليمنيين وليسوا من الفرس كذلك وكان أخر حكام اليمن من الابناء هو (باذان) الذى استجاب مع أهل

(١) عبد الرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، صفحة ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) سورة الفيل ، الآية ٣ ـ ٥ .

اليمن لدعوة الرسول ﷺ سنة ٦٢٧هـ [١] ودخلوا فى الدين الإسلامى، فعينه الرسول ﷺ واليا على صنعاء، وفى نفس الوقت أرسل الدعاة إلى اليمن من الصحابة لكى ينشروا الدين الإسلامى فى كل أقاليمها أمثال وبر بن يحنس الانصارى ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعرى وعلى بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة الذين انطلقوا يدعون أهل اليمن إلى الإسلام حتى قيل أن قبيلة همدان أسلمت عن بكرة أبيها فى يوم واحد على يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفى ذلك ينسب إليه شعرا يمدح فيه قبيلة همدان منها:

ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان أدخلوا بسلام

ثم عين الرسول ﷺ بعد ذلك نوابا عنه فى اليمن، وظلت اليمن طوال عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ثم فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية عاصمة لبلاد اليمن وأن قامت بجانبها عواصم أخرى للولايات المتعددة والدويلات المستقلة [٢] ولم تفقد كيانها كعاصمة إلا فى عهد الدولة الأيوبية التى اتخذت من تعز عاصمة لليمن وتبعهم فى ذلك الرسوليين.

وقام ولاة الرسول ﷺ ثم ولاة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وعمال الدولة العباسية ببناء الكثير من المساجد والدور والقصور فى مدينة صنعاء ومن أشهرها الجامع الكبير الذى بنى سنة ٦هـ/٦٢٧م على يد وبر بن يحنس الأنصارى وكذلك جبانة صنعاء (مصلى العيدين) على يد

---

(١) عبد الرحمن الحداد (د): المرجع السابق، صفحة ١٥٧.

(٢) أحمد شلبى (د): موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، الجزء السابع، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، صفحة ٣١٩.

فروة بن مسيك المرادى والذى بنى أيضا جامعه المعروف باسمه حتى اليوم بجوار الجبانه وكذلك بنيت مساجد أخرى مثل جامع الشهيدين بصنعاء وغيرها من المساجد التى كانت تجدد أو ترمم من حين لآخر.

ولما بدأت الخلافة العباسية تضعف بسبب القتال بين ولدى هارون الرشيد ـ الأمين والمأمون ـ وانتصار المأمون وبالتالى تدهور الحالة الاقتصادية وتغلب ولاة الأطراف على ولاياتهم استغل ولاة اليمن ذلك وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية وأن بقى الولاء لها اسميا ومن الدول التى استقلت فى اليمن : دولة بنى زياد فى زبيد التى حكمت من سنة ٢٠٤ ـ ٤٠٣هـ. ودولة بنى يعفر فى شبام كوكبان ثم فى صنعاء والتى حكمت من سنة ٢٢٥ ـ ٣٨٧ كما بدأت الدعوة الزيدية تتغلغل فى اليمن وخاصة فى المناطق الشمالية فى مدينة صعده حيث قام أهلها باستدعاء الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين إلى صعده ونصبوه أماما عليهم سنة ٢٨٨ ـ ٢٩٩ هـ وهنا كانت نشأة الدولة الزيدية ـ اتباع الإمام زيد بن على بن أبى طالب ـ فى اليمن والتى ظلت تخبوا وتنهض طوال ثلاثة عشر قرنا سيطرت فى أواخر عهدها على معظم أجزاء اليمن وقد انتهت سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

ودخلت الدول الثلاث ـ الزيادية واليعفرية والزيدية ـ فى صراع مرير كل منها تطمع فى السيطرة على الأخرى ، وأثناء هذا الصراع برز إلى الوجود فجأة الزعيم القرمطى على بن الفضل والذى تمكن من الاستيلاء على صنعاء من أيدى بنى يعفر سنة ٢٩٣هـ ولكن بنى يعفر استردوها منه مرة أخرى إلا أن ابن الفضل تمكن من استردادها سنة ٢٩٩ هـ وظلت بيده حتى سنة ٣٠٣هـ واجبر بنى يعفر على أعلان الولاء والطاعة له والخطبة باسمه بل وضرب السكة باسمه بحيث أصبح بنو يعفر وكانهم ولاة على صنعاء من قبل على بن الفضل.

وبعد مقتل على بن الفضل سنة ٣٠٣هـ استعاد بنو يعفر مدينة صنعاء بقيادة أسعد بن أبى يعفر الذى ظل يحكم الدولة اليعفرية حتى وفاته سنة ٣٣٢هـ وبموته خلفه حكام ضعاف تنازعوا فيما بينهم وظلوا كذلك حتى سنة ٣٨٧هـ حيث عم الخراب مدينة صنعاء حتى سنة ٤٣٩هـ بسبب السيطرة القبلية عليها حتى تمكن مؤسس الدولة الصيليحية (على بن محمد الصليحى) من الاستيلاء على صنعاء وبعد وفاة على بن محمد الصليحى خلفه ابنه المكرم أحمد الذى نقل عاصمة الدولة من صنعاء إلى مدينة ذى جبله وعين واليا من قبله على صنعاء وقد قامت الدولة الصليحية بتجديد الجامع الكبير بصنعاء، ولما توفى المكرم خلفته زوجته السيدة بنت أحمد الصليحى حتى وفاتها سنة ٥٣٢هـ وفى أواخر أيامها فوضت حكم الدولة إلى اتباعها بنو زريع فى عدن [١] إلا أن والى الدولة الصليحية على صنعاء حاتم الهمدانى استغل مرضها وعجزها عن إدارة البلاد وأعلن استقلاله عن الدولة الصليحية وتأسيس دولة بنى حاتم ٥٣٣ ـ ٥٦٩هـ فى صنعاء، وقد تصادف قيام دولة بنى حاتم فى صنعاء قيام الإمام أحمد بن سليمان بأمر الامامة سنة ٥٣٢هـ والذى كان طموحا شجاعا قويا استطاع أن يعد نفوذه حتى شمل صعده ونجران والجوف وبلاد الظاهر شمال صنعاء ثم توجه بجيوشه إلى صنعاء واستولى عليها سنة ٥٤٥هـ إلا أن بنى حاتم تمكنوا من استعادتها من أيدى الإمام بل ويستولوا على صعده وبلاد الظاهر والجوف انتقاما من الإمام أحمد بن سليمان.

ومع ظهور قوة بنى حاتم فى صنعاء ظهرت قوة أخرى فى تهامة تتمثل

---

(١) أحمد شلبى (د): المرجع السابق، ص ٢٨٤ ـ ٤٠٢.

فى على بن مهدى الذى قضى على دولة بنى نجاح سنة ٥٥٤هـ [١]، كما استولى على عدن سنة ٥٦٨هـ وقد تصادف قيام دولة بنى مهدى بداية التحرك الأيوبى للاستيلاء على اليمن وضمها إلى الدولة الأيوبية فى مصر والشام حيث توجه تورانشاه الأيوبى بأمر أخيه الناصر صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ واستولى على زبيد وقضى على دولة بنى مهدى فى نفس السنة وفيها أيضا قضى على دولة بنى زريع فى عدن وفى سنة ٥٧٠هـ قضى على دولة بنى حاتم فى صنعاء ثم عاد إلى زبيد وتوجه إلى مصر فى مطلع سنة ٥٧١هـ [٢].

وقد اتخذ الأيوبيين من مدينة تعز عاصمة لهم وظلوا يحكمون اليمن حتى سنة ٦٢٦هـ ومن أهم أعمالهم بناء سور حول تعز وتشييد قلعة القاهرة فيها كما اعادوا بناء سور مدينة صنعاء الذى هدمه بنو حاتم قبل استيلاء الأيوبيين عليها.

وكان أخر حكام الدولة الأيوبية فى اليمن هو الملك المسعود يوسف ين الملك الكامل والذى حكم اليمن حتى سنة ٦٢٦هـ حيث اراد العودة إلى مصر فتجهز بأحماله وتوجه نحوها عن طريق البر بعد ان عين نور الدين عمر بن على بن رسول نائبا عنه فى بلاد اليمن إلا أن المسعود توفى فى مكة وهو فى طريقه إلى مصر.

وبموت الملك المسعود الأيوبى أخذ نور الدين عمر بن على بن رسول

---

(١) دولة بنى نجاح قضت على دولة بنى زياد سنة ٤٠٣هـ وحكمت تهامة وعاصمتها زبيد حتى سنة ٥٥٤.

(٢) محمد عبد العال أحمد (د): الأيوبيون فى اليمن، مع مدخل حضارى فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، صفحة ٥٧ - ٩٧ ...

يمهد لقيام دولته والاستقلال بها عن الأيوبيين فاستولى على النواحى التى يسيطر عليها الأيوبيين وعزل ولاتهم بولاة من الموالين له وقام بضرب السكة باسمه وفى سنة ٦٢٨هـ وقيل سنة ٦٣٠هـ أعلن الاستقلال وخطب فى المساجد باسمه واتخذ مدينة تعز عاصمة له [١].

وقد استولى بنى رسول على كل املاك الدولة الأيوبية ومنها صنعاء وظل الرسوليين يحكمون اليمن حتى سنة ٨٥٨هـ عندما تنازع ابناء البيت الرسولى وراثة العرش فاستغل عمالهم على عدن ورداع (بنو طاهر) ذلك النزاع وقضوا على الدولة الرسولية وأعلان قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ والتى ظلت تحكم حتى سنة ٩٢٣هـ وقد اتخذ بنو طاهر من مدينة جِبَنُ ثم مدينة المقرانه عاصمة لهم بينما كانت صنعاء قد استولى عليها الائمة الزيدين فى أواخر عهد الدولة الرسولية لذلك لم يقم بنو طاهر بمحاولة استرداد صنعاء فى أول الأمر نظرا لانشغالهم بتوحيد الجزء الجنوبى من اليمن ولما تمكنوا من توحيد اليمن توجه السلطان عامر بن طاهر نحو صنعاء بدعوة من أهلها للاستيلاء عليها بسبب ظلم الإمام الزيدى فيها ولما اقترب من صنعاء خرجت عليه قوات الإمام وتمكنت من قتله وبذلك أحجم بنو طاهر عن الاستيلاء على صنعاء.

ولما تولى السلطان عامر بن عبدالوهاب [٢] حكم الدولة الطاهرية جمع قواته واستولى على صنعاء سنة ٩١٠هـ وقبض على الإمام الزيدى محمد بن على الوشلى وأودعه السجن حتى مات ولكن الائمة الزيديين

---

(١) أحمد شلبى (د): المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٨٤.

(٢) السلطان عامر بن عبدالوهاب: آخر ملوك الدولة الطاهرية، حكم من سنة ٨٩٤هـ إلى سنة ٩٢٣هـ وقتل على يد المماليك الجراكسة، ملوك مصر فى عهد السلطان الغورى.

ظلوا يتحينون الفرص للانتقام من السلطان عامر واسترداد صنعاء وقد واتتهم الفرصة عندما رفض السلطان عامر مد يد العون للحملات المملوكية المصرية لتطهير البحر الأحمر والمحيط الهندى من السيطرة البرتغالية فاتصل الائمة بالمماليك واتفقوا على الخلاص من عامر بن عبد الوهاب وفعلا دخل المماليك اليمن وتمكنوا من قتل السلطان قرب صنعاء سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وبالتالى القضاء على الدولة الطاهرية وبذلك انتهت الدول اليمنية المستقلة.

ولكن الحكم المملوكى فى اليمن لم يستمر طويلا ففى نفس السنة التى استولوا فيها على اليمن استولى العثمانيين على مصر وقضوا على الدولة المملوكية فيها وأصبحت مصر ولاية عثمانية وقد أعلن المماليك فى اليمن ولائهم للدولة العثمانية وظلوا يحكمون فيها حتى سنة ٩٥٨هـ عندما أرسل السلطان العثمانى حملة استولت على اليمن من أيدى المماليك.

لقد كان لقضاء المماليك على الدولة الطاهرية أثرا كبيرا فى تحول الصراع فى اليمن من صراع بين دويلات وطنية مستقلة كل منها تحاول السيطرة على الأخرى إلى صراع بين أهل اليمن من جهة والمماليك والعثمانيين من جهة أخرى.

وبمعنى أخر أصبح الصراع بين دولة وطنية تعتبر نفسها الأحق بحكم اليمن (الدولة الزيدية) وبين العثمانيين الذين يعتبرهم أهل اليمن دخلاء ومحتلين، وقد حمل الأئمة عبء هذا الصراع والتف اليمنيين حولهم باعتبارهم الدولة الوحيدة المستقلة والمتبقية فى اليمن والتى قامت سنة ٢٨٨هـ بقيادة الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين فى صعده والتى دخلت فى صراع مع كل الدولة اليمنية المستقلة وكانت تظهر وتخبوا تنتصر

وتهزم بسقوط إمام وقيام أخر كما كانت تتبادل المراكز مع الدول الأخرى بين الاتساع والانكماش حسب قوة أو ضعف الدول المناوئة لها.

وبسقوط دولة بنى طاهر واستيلاء المماليك ثم العثمانيين على اليمن شعر أهل اليمن بوطأة الاحتلال العثمانى للبلاد وتلفتوا حولهم يبحثون عن دولة تقودهم فلم يجدوا سوى الائمة الزيدين فالتفوا حولهم وخاضوا صراعا مريراً وطويلاً مع العثمانيين وكان من أبرز هؤلاء الائمة (الإمام شرف الدين) ثم ابنه (الإمام المطهر) الذى انتصر على العثمانيين فى معركة شعوب قرب صنعاء سنة ٩٧٥هـ وحاصر الاتراك فى صنعاء حتى أجبرهم على الجلاء من اليمن وتسلم منهم صنعاء وتعز وعدن ما عدا مدينة زبيد التى اتخذها الاتراك مركزا لتجميع القوات التركية بغرض ظاهرى وهو انتظار السفن للأبحار إلى مصر، ولكنهم فى الحقيقة كانوا يتجمعون لمعاودة الاستيلاء على اليمن مرة أخرى حيث وصلتهم امدادات من الدولة العثمانية بقيادة الوزير التركى سنان باشا وزحفوا جميعا من زبيد سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م واشتبكوا مع قوات الإمام المطهر واستولوا على صنعاء مرة أخرى.

وبوفاة الإمام المطهر سنة ٩٨٠هـ اندفع الجيش العثمانى يستولى على املاك المطهر حتى ضم إليه غالب أجزاء اليمن.

وظلت الأحوال تحت السيطرة العثمانية حتى قيام المنصور بالله القاسم محمد بأمر الامامة سنة ١٠٠٦هـ فجمع القبائل حوله لقتال العثمانيين واستولى على أغلب المناطق الشمالية وخلفه الإمام الموءيد سنة ١٠٠٩هـ/ ١٠٥٤م الذى تمكن من هزيمة العثمانيين فى معركة الصافية جنوب صنعاء وأجبرهم على الرحيل وتسليم كل الأقاليم والمدن اليمنية

وبذلك استقلت اليمن عن الدولة العثمانية حتى سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م عندما زحف الجيش العثمانى للمرة الثالثة فى عهد السلطان عبد المجيد واحتل ميناء اليمن (الحديده) ثم بقية أجزاء اليمن فهب شعب اليمن بقيادة الائمة للدفاع عن البلاد وكان على رأسهم الإمام المتوكل يحيى بن أحمد ١٢٧١ ـ ١٢٩٥هـ ثم الهادى شرف الدين ١٢٩٦ ـ ١٣٠٧هـ ثم المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ١٣٠٨ ـ ١٣٢٢هـ ثم ابنه المتوكل يحيى ١٣٢٢ ـ ١٣٦٧هـ والذى اضطر الأتراك فى عهده إلى عقد معاهدة صلح مع الائمة عرفت باسم (اتفاقية دعان) سنة ١٩١١م أصبح للإمام بمقتضاها الأشراف على الشئون الدينية وأن تكون للعثمانيين قوة رمزية فى اليمن كرمز للوحدة الإسلامية وقد ظلت هذه القوة الرمزية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة تركيا فيها حيث عادت القوات التركية إلى بلادها سنة ١٩١٩م. وطوال هذه الفترة من التاريخ كانت صنعاء هى العاصمة للعثمانيين والائمة الزيدين بالتبادل (المنتصر مع المنهزم) [١].

وباستقلال اليمن عن العثمانيين وطرد قواتهم منها لم ينتهى الصراع فقد دخل الائمة فى صراع مع الدولة السعودية كانت الانتصارات والهزائم متبادلة بينهم كما دخل الائمة فى صراع مع الاحتلال البريطانى لجنوب اليمن الذين كانوا قد احتلوا عدن وما حولها سنة ١٨٣٧م.

وحتى لا يطمع المستعمرون بأرض اليمن أغلق عليها الإمام باقفال حديدية قوامها الفقر والجهل والمرض والتخلف حتى تمكن الشعب من كسر هذه الأقفال والثورة على الائمة والقضاء على حكمهم فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وبالتالى أعلان قيام النظام الجمهورى وبذلك انتهى

---

(١) أحمد شلبى (د) : المرجع السابق، ص ٢٨٤ ـ ٤٠٢.

الحكم الإمامى بعد أن ظل يحكم اليمن من سنة ٢٨٨هـ وحتى سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م تناوب فيها منصب الإمامة حوالى (١٦٧) أماما أولهم الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين وأخرهم الإمام البدر بن الإمام أحمد يحيى حميد الدين.

وقد تبع قيام الثورة وأعلان الجمهورية فى الشمال إعلان الثورة ضد الاحتلال البريطانى فى الجنوب سنة ١٩٦٣م وظل الكفاح حتى جلاء المستعمر البريطانى عن أرض اليمن سنة ١٩٦٧م واعلان قيام جمهورية ثانية فى الجنوب وبالتالى انقسام اليمن إلى جمهوريتين عملتا معا لتوحيد اليمن وقيام الجمهورية اليمنية فى ٢٢ مايو ١٩٩٠م واتخاذ صنعاء عاصمة لدولة الوحدة.

obeikandl.com

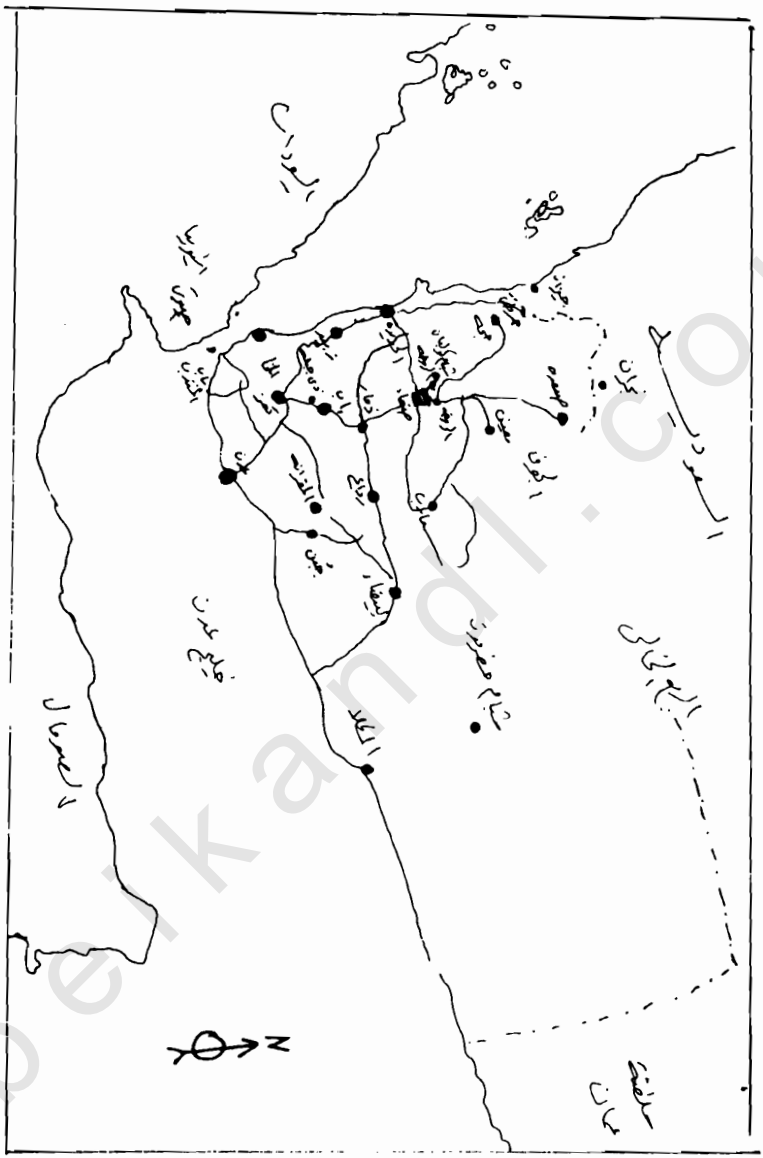

خريطة رقم (١) : خريطة اليمن الطبيعية

ثانيا : الموقع الجغرافى وأثره على بناء المنازل فى صنعاء

تقع مدينة صنعاء فى الأقليم الأوسط من اليمن ولذلك يعتبرها الهمدانى مؤرخ اليمن بمثابة أم اليمن وقطبها [١] أما ابن سعيد المغربى فقد ذكرها بقوله (وطول صنعاء ٣٠ر٧١ دقيقة والعرض ١٤ درجة و٣٠ دقيقة وبينها وبين عدن مدينة جبلة) [٢].

أما جغرافيا فإن صنعاء تحتل مركزا وسطا بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض فهى تقع على خط طول (١٥ر٤٤ درجة) شرقا ودائرة عرض (١٥ر١٥ درجة) شمالا ولذلك فهى تقع فى وسط اليمن التى تمتد من صنعاء شرقا بمقدار (٥٥ر١) درجة طولية أى حتى خط طول (٢٠ر٤٦ درجة) شرقا كما تمتد من صنعاء غربا بمقدار (٥٥ر١) درجة طولية أى حتى خط طول (٢٠ر٤٢) درجة شرقا ولذلك فإن مساحة اليمن تمتد من صنعاء شمالا بنحو ٢٤٠ كم وشرقا بنحو ٢٠٠ كم وغربا بنحو ٢٢٥ كم وجنوبا بنحو ٢٦٥كم [٣] .

---

(١) مصطفى عبدالعال تمام : مدينة صنعاء، ومسيرة التطور الاستيطانى الحضرى، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد الثامن، سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٧٥ .

(٢) ابن سعيد المغربى، على بن موسى بن محمد : بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنيس، تطوان ١٩٥١م، صفحة ٣٣ .

(٣) مصطفى عبدالعال تمام : المرجع السابق، ص ١٧٦ .

ويبلغ ارتفاع صنعاء عن مستوى سطح البحر حوالى ٢٣٥٠ م فى وسط قاع سهل يمتد من نقم شرقا حتى عيبان غربا ومن نقيل يسلح جنوبا حتى منطقة شبام الفراس شمالا.

وتحيط بمدينة صنعاء الوديان الخصبة الغزيرة الأمطار والتى تتساقط عليها معظم شهور السنة وخاصة فى موسم الأمطار الصيفية والخريفية بحيث تنحدر عليها السيول من الجبال المحيطة بها مثل جبل نقم، وعيبان، وعصر، وحده (١) ولذلك يصغها ابن رسته على انها (مدينة جبلية برية معتدلة الهواء) (٢).

وقد أدرك المعمار اليمنى تبعًا لهذا الموقع الجغرافى والفلكى أن الشمس تتجاوز خط ١٥ر٤٤ْ شرقا الذى تقع عليه صنعاء أثناء رحلتها نحو الجنوب لتتعامد على مدار الجدى فى ٢١ ديسمبر ثم عودتها إلى هذا الخط فى ٢٢ مارس واتجاهها نحو الشمال لتتعامد على مدار السرطان فى ٢٣ يونيو ثم عودتها مرة أخرى إلى خط الاستواء فى ٢١ سبتمبر، ومن خلال ملاحظته لحركة الشمس هذه وجد ان الواجهة الجنوبية من المنزل تكون أكثر عرضه لأشعة الشمس طوال النهار مما يجعلها أكثر دفئا فى فصل الشتاء القارس البرودة فى صنعاء بينما تكون الواجهة الشمالية أثناء ذلك غارقة فى الظلال وبالتالى أكثر برودة فى فصل الشتاء.

أما فى فصل الصيف وأثناء رحلة الشمس نحو الشمال وأثناء عودتها نحو الجنوب فتكون الواجهة الشمالية أكثر عرضة للشمس بينما تكون

---

(١) بالوم كوستا: صنعاء، مقال ضمن كتاب المدينة الإسلامية، نشر سرجنت، ر.ب ترجمة أحمد محمد تعلب، نشر اليونسكو، السيكومور، فجر، صفحة ١٥٧.

(٢) ابن رسته، أحمد بن عمر، الأعلاق النفسية، طبع بالأوفست عن طبعة ليدن، ١٨٩١م، صفحة ٩٠.

الواجهة الجنوبية مظللة مما يجعلها معتدلة الحرارة لعدم تعرضها لأشعة الشمس.

ولذلك أدرك المعمار اليمنى أن الواجهة الجنوبية هى أنسب الواجهات ولذلك ركز فيها الوحدات السكنية التى يعيش فيها وتليها فى الأهمية الواجهة الغربية ثم الواجهة الشرقية أمام الواجهة الشمالية فقد خصصها لدورات المياه والحمامات والمطابخ، وإذا ما اضطر إلى عمل وحدات سكنية فى هذه الواجهة فإنها تكون ذات نوافذ علوية ضيقة.

أما من حيث درجات الحرارة فإنها متباينة إلى درجة كبيرة فى الليل والنهارا نظرا لوقوع صنعاء على ارتفاع ٢٣٥٠م/ ٩٦٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر (١) ولذلك فإن معدل الحرارة يتراوح بين ١٢ْ مئوية ليلا و ٣٠ْ مئوية نهارا فى فصل الصيف، أما فى فصل الشتاء فمعدل الحرارة يتراوح بين ٢٢ ـ ٢٥ْ مئوية نهارا و ٦ ـ ٢ْ تحت الصفر فى الليل.

لذلك لجأ المعمار اليمنى فى صنعاء إلى استخدام مواد بنائية من طبيعتها اكتساب وخزن الحرارة نهارا وبطء فقدان الحرار ليلا بحيث يمكنها تدفئة المنزل معظم ساعات الليل وذلك من أجل الحفاظ على درجة حرارة معتدلة داخل المنزل.

ومن خلال أدراك المعمار اليمنى لهذه الظروف المناخية فقد فضل استعمال الواجهات الجنوبية والشرقية والغربية لبناء وحدات السكن التى يعيش فيها ومن هنا يمكننا أدراك مغزى المثل الصنعانى القائل أن البيت تتكون من (بيت، ثلاثة أرباع بيت، نصف بيت، ربع بيت).

---

(١) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، مطابع البادية للأوفست، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م، صفحة ١٥.

obeikandl.com

فقد قصد بهذا المثل القول أن الواجهة الجنوبية تعتبر بيتا كاملا لأنها تكون دافئة فى فصل الشتاء لأن الشمس تكون متركزة فى النصف الجنوبى من الكرة الأرضية مما يتيح للواجهة الجنوبية تعرضها لأكبر فترة ممكنة لحرارة الشمس بينما تكون هذه الواجهة معتدلة صيفا لأنها تكون غارقة فى الظلال لأن الشمس تكون متركزة فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية مما يمنع تعرض هذه الواجهة لأشعة شمس الصيف الحارقة.

أما المقصود بثلاثة أرباع البيت فهى الواجهة الغربية لأنها تتعرض لأشعة الشمس منذ زوالها وحتى الغروب مما يتيح تدفئتها قبل قدوم الليل ببرده القارس شتاءا وأما المقصود بنصف البيت فهى الواجهة الشرقية لأنها تتعرض للشمس فى الفترة الصباحية ولذلك فما أن يأتى الليل وبرده إلا وقد فقدت تدفئتها فتكون أشد برودة من الجنوبية والغربية ، وأما المقصود بربع البيت فهى الواجهة الشمالية لأنها فى الشتاء تكون باردة لعدم وصول أشعة الشمس إليها وتكون صيفا حارة لتركز أشعة الشمس عليها[١].

وإذا كان لدرجات الحرارة والبرودة أثر فى توزيع حجرات السكن فى منازل صنعاء وتقسيماتها الداخلية فقد كان لموقع اليمن فى نطاق الأقليم الموسمى المطير صيفا أثره على عمارة المنازل اليمنية فى صنعاء وغيرها من مدن اليمن، حيث دفعت الأمطار الموسمية الصيفية الغزيرة المعمار اليمنى إلى استخدام مواد بنائية تقاوم عمليات التفتت والتحلل والتجريف الذى تقوم به مياه الأمطار مثل مواد الحجر والأجر وكذلك تغطية سطوح

(١) سعاد ماهر (د) : العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، دار البيان العربى، جده الطبعة الأولى ١٩٨٥م، جـ٢، ص ٧٨٩، عبد القوى طالب (مهندس) : مميزات المواد المستخدمة فى العمارة السكنية بصنعاء القديمة، مجلة دراسات يمنية، العدد ٣٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، صفحة ٢٨٨ .

المنازل بمادة القضاض [١] والجص لكى يسهل من عملية تصريف المياه المتجمعة فى السطوح عبر ميازيب إلى خارج الدار فقد ذكر لنا ابن رسته ذلك فى الاعلاق بقوله (وهى مبينه بالحجارة المهندمة وأكثر سطوحها مفروشة بالجص لكثرة أمطارها) [٢].

كما أن كثرة الأمطار فيها جعل المعمار يستعمل الأحجار فى بناء الطوابق السفلية لكى تقاوم دفع السيول الجارفة التى تمر فى شوارع المدينة اتية من الجبال المحيطة بهاحتى تصب فى السائلة (مجرى مياه الأمطار) ولهذا السبب أيضا استخدام المعمار اليمنى الحجر المهندم فى رصف شوارع المدينة لكى يسهل انسياب مياه الأمطار وتصريفها إلى السائلة وقد ذكر لنا ذلك ابن بطوطه بقوله (ومدينة صنعاء مفروشة كلها فإذا ما نزل المطر غسل جميع أزقتها) [٣]، وما يزال هذا الأسلوب البنائى فى استخدام الحجر والأجر فى بناء جدران المنازل جاريا حتى اليوم ولازالت هناك بقايا كثيرة للشوارع المرصوفة بالأحجار باقية حتى اليوم وقد قامت اليونسكو فى الفترة الأخيرة بترميم واصلاح والحفاظ على صنعاء القديمة حيث رممت المنازل المهدمة وأعادت رصف الشوارع بالأحجار كما كانت قديمة وهى حاليا تقوم بترميم سور صنعاء وأكمال بقية ترميم المدينة والحفاظ عليها.

---

(١) القضاض : هو خليط من النورة والنيس والجص، عندما يجف يصبح صلباً كالاسمنت ويتميز بعدم تسرب المياه من خلاله ولذلك يستخدم كبلاط لخزانات المياه وهو يشبه مادة الخافقى فى مصر.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق، ص ٩٠ - ١١٢.

(٣) ابن بطوطه، محمدعبدالله: رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار دار الكتاب اللبنانى، مكتبة المدرسة، صفحة ١٦٨.

ثالثا : تخطيط مدينة صنعاء

تعتبر مدينة صنعاء فى موقعها الجغرافى واحدة من أقدم المواقع التى غرست فيها بذرة الاستيطان الحضرى العريق وقد بدأ الوجود الحضرى لمدينة صنعاء منذ ما قبل الميلاد بعدة قرون ولكن لا يوجد تاريخ معين يمكن أن يحدد ذلك وكان هذا الوجود أول الأمر عبارة عن منزل ثم قرية ثم مجموعة من القرى المتناثرة فى قاع صنعاء الذى تطوقه الجبال ثم اندمجت أطراف القرى المتناثرة فى كيان عمرانى واحد احساسا بالمصلحة الأمنية والاقتصادية (١).

إلا أننا لا نعرف كيف كان تخطيط صنعاء قبل الإسلام نظرا للتوسعات التى طرأت على المدينة منذ بدء الإسلام وحتى اليوم ولكن من الأرجح أن تخطيطها كان أما دائريا أو بيضاويا مثله مثل باقى المدن اليمنية القديمة الأخرى كتخطيط مدينة مارب وصرواح السبأيتين ومدينة براقش وقرناو وغيرها من المدن المعينية.

وكان يحيط بمدينة صنعاء سورا بناه الملك شعر أوتر فى نهاية القرن الثانى الميلادى وجاء ذكر هذا السور عند الهمدانى فى الأكليل ويؤيد

---

(١) مصطفى عبدالعال تمام: المرجع السابق، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

وجود مثل هذا السور العثور على نقش يحمل اسم الملك شعراوتر يذكر فيه مدينة صنعاء وكذلك (جنأ/ صنعاء) [١] وكلمة (جنأ) فى النقوس اليمينة القديمة تعنى السور [٢].

كما ذكر الهمدانى أنه كان لصنعاء تسعة أبواب وأن سورها كانت تشمى فيه ثمانية من الخيول مجتمعة ويقول (بالوم كوستا) أن عضادات باب ستران والبوابة الجنوبية للقلعة وجزء صغير من السور قرب القلعة ترجع إلى العصر السبئى مقارنة بأبنية سد مآرب وأسوار مدينة (دو)[٣].

وما يهمنا هنا هو تخطيط مدينة صنعاء الإسلامية والتى شهدت منذ دخول أهل اليمن فى الدين الإسلامى حركة ازدهار وتطور عمرانى كبير.

ففى أوائل الإسلام كانت صنعاء مقسمة إلى قسمين: القسم الأول ويعرف باسم القطائع وهو حى تعيش فيه الطبقة الحاكمة من ابناء الفرس الذين جاءوا إلى اليمن قبيل الإسلام فى عهد سيف ابن ذى يزن والذى استنجد بهم ضد الأحباش وبعد مقتل سيف بن ذى يزن استولوا على الحكم وتزاوجوا مع اليمنيين وسمى ما انجب منهم باسم الابناء كما سبق الذكر. وكان أخر حكام الفرس على اليمن هو (باذان) والذى دخل فى الإسلام عند دعوة الرسول ﷺ له بذلك حيث ابقاه الرسول ﷺ على حكم صنعاء، أما القسم الثانى من المدينة فكانت تسكنه قبيلة بنو شهاب الأصلية [٤] وهذين القسمين يقعان داخل المدينة الحالية.

---

(١) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق ، ص ١٦٠.

(٢) أ.ف.ل. بيستون وآخرون، المعجم السبيء، منشورات جامعة صنعاء، ج.ى. ١٩٨٢م صفحة ٥٠.

(٣) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤) ر.ب. سرجنت: الطبقات الاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية، مقال ضمن كتاب المدينة الإسلامية، ترجمة : أحمد محمد ثعلب، صفحة ١٤١.

وقد حصل أول توسع وأزدهار عمرانى لمدينة صنعاء عند قيام فروة بن مسيك المرادى ببناء جبانة صنعاء (مصلى العيدين) خارج المدينة وبنى إلى جوارها مسجده المعروف باسمه حتى اليوم فقام الناس ببناء منازلهم حول الجبانة كما قام ولاة الدولة الأموية وعمال الدولة العباسية ببناء قصورهم حول الجبانة فقد ذكر الرازى فى تاريخه أن « منازل مصلى العيدين من أبهى العمائر وأحسنها صنعا بل وكانت أجمل من منازل صنعاء وكانت ملاصقة لها وخاصة مساكن ولاة من يرد من العراق وحاشيتهم ممن يفد مع أولئك الولاة مع من كان يسكنها من التجار والأغنياء وأهل الثروة واليسار » (١).

وهذا يدلنا على أن أول توسع حدث لمدينة صنعاء يمكن افتراضه مع انشاء جبانة صنعاء أو بعده بقليل، والأرجح أن ولاة الأمويين وعمال العباسيين بنو مساكنهم حول الجبانة وانضم إليهم أغنياء البلاد، بحيث أصبح حى الجبانة (حى فروة بن مسيك حالياً) حياً خاصاً بالطبقة الحاكمة الثرية.

ولذلك أصبحت صنعاء قبلة يؤمها عاشقوا بلاد اليمن بسهولها وجبالها وشد إليها الرحال كثير من الرحالة وتمنى شد الرحال إليها الكثير من المؤرخين فلا غرابة فى أن نجد ابن خرداذبه يذكرها بقوله (لابد من صنعاء وأن طال السفر) (٢).

ومما يشهد على ذلك التوسع والأزدهار ما ذكره الرازى فى القرن

---

(١) سعاد ماهر (د) : العمارة الإسلامية على مر العصور، جـ١، ص ١٣٣.

(٢) ابن خرداذابة، أبو القاسم عبدالله : المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٩٨٩م، صفحة ١٣٦.

الثالث الهجرى من احصاء لمنازل ومساجد صنعاء حيث قال أن عدد دورها ومنازلها بلغ مئة وعشرين ألف دار ومنزل وأن عدد مساجدها بلغ عشرة آلاف مسجد وغير ذلك من السقايات والحمامات [١].

وهذا النص وأن كان فيه شيء من المبالغة فى الأرقام ألا أنه مع ذلك يدلنا على مدى التوسع والأزدهار العمرانى.

ألا أن مدينة صنعاء لم تستمر فى نموها وأزدهارها العمرانى لعدة أسباب منها أسباب طبيعية وأسباب سياسية ففى القرن الثالث الهجرى شهدت صنعاء الكثير من الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية منها زلزال سنة ٢١٢هـ الذى دمر بعض منازلها وكذلك فيضان سنة ٢٦٢هـ الذى خرب أكثر من ستة آلاف منزل وجامع ومنها جامع صنعاء الكبير الذى اعاد بناوءه محمد بن يعفر سنة ٢٦٥هـ كما ازداد الانحطاط والتدهور بدخول الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين صنعاء سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م، فبعد أن كانت دور صنعاء حوالى ١٢٠ ألف دار بلغت حوالى ٣٠،٠٠٠ ألف دار فى أوائل القرن الرابع الهجرى وفى أواخر الدولة اليعفرية وبالتحديد سنة ٣٤٤هـ أصبحت صنعاء تضم حوالى ١٤،٠٠٠ ألف دار فقط ونحو سبعين حانوتا و١٠٦ مسجدا واثنى عشر حماما واثنين وعشرين مطحنا للقمح وأربعة وخمسين معصرة [٢].

وقد بلغ الخراب أشده فى الفترة من ٤٠٥ ـ ٤٤٨هـ نظرا لكثرة الخلافات السياسية واستيلاء القبائل عليها بحيث أصبح لصنعاء فى كل سنة أو شهر سلطانا ولم تسترد صنعاء أنفاسها إلا فى عهد الدولة

---

(١) الوازى، المصدر السابق، ص ١٦ مصطفى عبدالعال تمام، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢) مصطفى عبد العال تمام: المرجع السابق، ص ١٨٣.

الصليحية ومؤسسها على بن محمد الصليحى الذى قام بترميم سور صنعاء بالحجر والجص وركب عليها سبعة أبواب هى باب غمدان فى الجنوب وباب دمشق فى الشمال وباب الشيخة وباب الخندق الأعلى ويدخل من السيل وباب الخندق الأسفل ويخرج منه السيل وباب النصر المؤدى إلى نقم وحصن براش وباب شرعه وينفذ إلى بستان السر [١]. وبذلك وصلت صنعاء إلى حدود السائلة، وقد وصفها عمارة اليمنى قبيل قدوم الأيوبيين إلى اليمن بقوله (ليس باليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء) [٢].

وقبل أن نتحدث عن التوسعات الأخرى نقف قليلا عند هذا الجزء من المدينة والذى يسمى صنعاء القديمة وهو محاط بسور على بن محمد الصليحى والذى جدده طغتكين بن أيوب بعد أن قام بنو حاتم بهدمه عندما شعروا باقتراب الأيوبيين من صنعاء وذلك بهدف جعل الأيوبيين عند دخولهم المدينة مكشوفين مما يمكن بنى حاتم من شن غارات سريعة وخاطفة للقضاء على جند الأيوبيين جماعات وأفراد بما يشبه حرب العصابات اليوم وذلك لأن بنى حاتم كانوا عاجزين عن قتال الأيوبيين وجها لوجه.

ويعتقد إن مساحة صنعاء فى هذه الفترة كانت حوالى ١١٨ هكتار كما ذكر ذلك (بيرجر) أما (الن بيرتود) فقدر مساحة صنعاء القديمة بحوالى (١٠٢ هكتار)، ويبلغ طول صنعاء القديمة ٦ر٢٠ كم فى المرحلة القديمة والأيوبية [٣].

---

(١) مصطفى عبدالعال تمام: المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٢) عبدالله الشيبة (د): مدن يمنيه، مجلة اليمن الجديد، العدد ١٢، السنة ١٧، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، صفحة ٥١.

(٣) عباس فاضل السعدى (د): نشأة مدينة صنعاء وتطورها، مجلسة دراسات يمنية، العدد ٣٤، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٨٥.

وهذا القسم من المدينة يعتمد فى تقسيمه على نظام الحارات فبالرغم من أن البنايات تبدوا متلاصقة عن بعد إلا أن الأزقة تخترقها بطريقة منظمة بحيث يكون فى كل حارة مسجد ولذلك نجد أن معظم الحارات أطلقت عليها تسميات المساجد الموجودة بها، ولكل حارة من هذه الحارات بستان خاص بها وكذلك حمام وسوق صغير ومن أهم حارات صنعاء القديمة: حارة الباشا ـ حارة موسى ـ حارة الابزر ـ حارة غرقة القليس ـ حارة صلاح الدين ـ حارة خضير ـ حارة الزمر ـ حارة المفتون ـ حارة المدرسة ـ حارة الميدان ـ حارة الفليحى ـ حارة العلمى ـ حارة القزالى ـ حارة داود ـ حارة طلحه ـ حارة الابهر ـ حارة الجامع الكبير ـ حارة الخراز ـ حارة الجلاء ـ حارة مسجد محمود (١).

أما شوار صنعاء فهى ضيقة كما هى العادة فى تخطيط شوارع المدن القديمة وهذه الشوارع صممت بحيث تصب فى الأسواق (٢).

ومن أهم أجزاء المدينة القديمة موقع قصر غمدان القديم فى أقصى الجهة الشرقية من المدينة ولايزال إلى اليوم يسمى (القصر) وقد حل محله حاليا قصر السلاح وبعض المنازل.

يرجح بناء قصر غمدان فى القرن الثانى الميلادى إذ أن أول ذكر له يرد فى النقوش من عهد الملك شعر أوتر (٣) وقد ذكر الهمدانى فى القرن ٣ / ٤هـ وغيره من المؤرخين أن قصر غمدان كان مكونا من عشرين طابقا ونجد ذلك فى الأبيات الشعرية التى نظمها الهمدانى ونصها (٤).

---

(١) زيد بن على عنان: صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعابها، مجلة الأكليل العدد ٢,٣، سنة ١٩٨٣م، صفحة ٣١ ـ ٣٦.

(٢) عباس فاضل السعدى (د): المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) يوسف محمد عبدالله (د): صنعاء المدينة العربية، ص ١٨٥.

(٤) الهمدانى: المصدر السابق، ص ٥٠.

من بعد غمدان المنيف وأهله ... وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعدا ... عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة ... ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحقا بالقطر منه صخرة ... والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر ... أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا فى صدره قطارة ... لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير واقفة عليه وفودها ... ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها ... وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى ترد ... اربابه مدخولة لم يعسروا

أن هذه الأبيات توضح لنا قدر ارتفاع القصر وتعدد طوابقه سواء اصح انه مكون من عشرين طابقا أم لم يصح ذلك وما يهمنا هو تعدد الطوابق والتى مازالت تتميز به صنعاء من عصر ما قبل الإسلام وحتى اليوم وكذلك يهمنا من قصر غمدان ما ذكر من أن واجهاته الأربع كانت كل منها مبنية بلون معين من الحجر الأبيض والأسود والأخضر والأحمر(١)، كما يهمنا من تلك الأبيات الشعرية ما ذكر من أن قصر غمدان كانت تعلوه غرفة مربعة أو مستطيلة كان سقفها مصنوع من رخامة واحدة شفافة وهذه الحجرة هى ما تعرف باسم (المنظر) كما جاء فى البيت الشعرى الثامن، ويقول الهمدانى فى الأكليل أن هذه الحجرة كان الجالس فيها يرى الطير إذا مرت فوق الحجرة من خلال اللوح الرخامى الشفاف (٢)، وكلمة المنظر التى وردت فى البيت الشعرى مازالت تستخدم حتى اليوم كاسم للمفرج فى المنازل الصنعانية.

---

(١) عبد الرحمن الحداد (د) : المرجع السابق ، ص ١٥٨

(٢) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٠

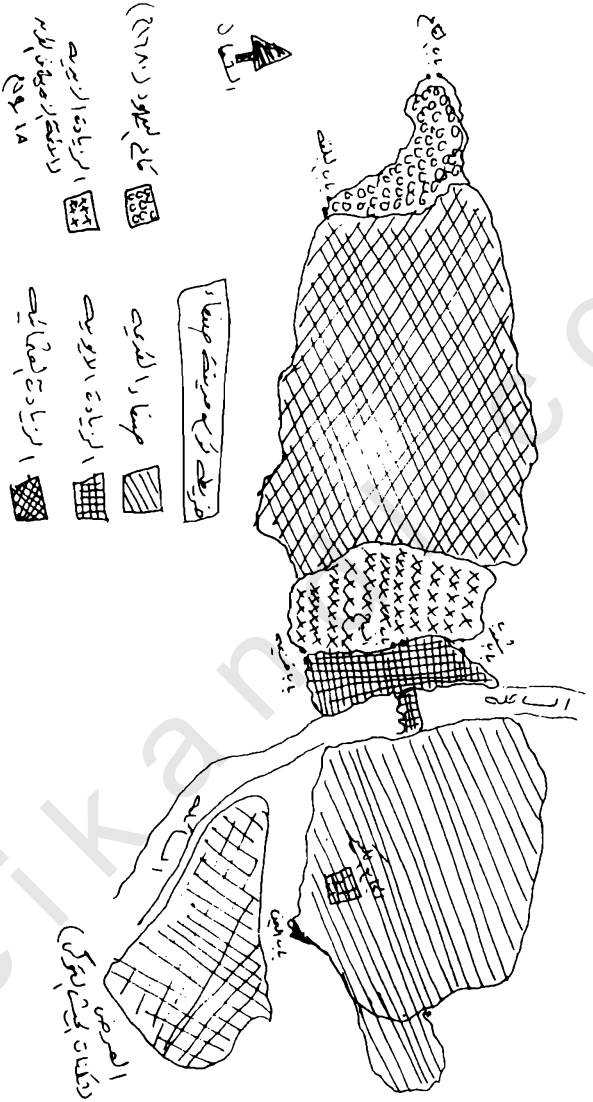

خريطة رقم (٢) : مراحل نمو مدينة صنعاء

وفى العصر الأيوبى امتدت مدينة صنعاء نحو الغرب بحيث تعدت السائلة حيث قام السلطان الأيوبى طغتكين ببناء بستان خاص به أطلق عليه اسم بستان السلطان ومازال هذا الاسم شائعا حتى يومنا هذا ولكى يربط المدينة القديمة بالجزء الذى استحدثه غرب السائلة قام بتسوير صنعاء بدل السور الذى هدمه بنو حاتم كما قام بعمل سور للجزء الذى استحدث بحيث أصبحت السائلة محصورة بين السورين ويبلغ عرض السائلة حوالى ٣٠م وقد تم وصل جزئى المدينة بخنادق فوق السائلة لعبور الناس وما يحملون عليها (١). وكان السبب فى بناء الخنادق أن مياه الأمطار قد تستمر فى السقوط على صنعاء لأيام متتالية مما يجعل مياه الأمطار تجرى فى السائلة لأيام متواصلة مما يجعل من الصعوبة عبور الناس إلى أجزاء المدينة وكذلك إلى وديانهم ومزارعهم غرب السائلة .

وقد تميزت قصور الأيوبيين التى بنوها فى الجزء الغربى من السائلة بطابعها اليمنى (٢)، وقد ظلت مدينة صنعاء على ما هى عليه فى عهد الدولة الرسولية والطاهرية لأنها لم تعد العاصمة فلم يهتم بها كثيرا إلى جانب وقوعها فى أطراف أملاك هذه الدول مما جعلها عرضة لهجمات الائمة فى الشمال ورغم ذلك فقد ظل جمال عمارة صنعاء يأسر الباب المؤرخين والرحالة فهذا ابن بطوطة يصفها بقوله (صنعاء قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالأجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزرع معتدلة الهواء طيبة الماء). كما يذكر ابن بطوطة شوارع المدينة بقوله (ومدينة صنعاء مفروشة كلها فإذا مانزل المطر غسل جميع أزقتها وانقاها) (٣).

---

(١) بالوم كوستا: صنعاء، المرجع السابق ص ١٦٢

(٢) مصطفى عبد العام تمام: المرجع السابق، ص ١٨٥ (٣) ابن بطوطه : المصدر السابق، ص ١٦٨

وعندما استولى العثمانيين على اليمن فى القرن ١٦م أطلقوا يد التوسع العمرانى حيث بلغت مساحة المدينة انذاك حوالى ٦كم٢ حيث أضيفت مدينة جديدة وبالاصح أحياء جديدة إليها فى الجهة الغربية من الزيادة الأيوبية وتعرف هذه المدينة باسم بئر العزب والتى كانت تضم مساكن موظفى الدولة العثمانية وكانت تضم إلى جانب ذلك حدائق وبساتين رائعة.

وعندما تم طرد اليهود من صنعاء القديمة سنة ١٦٨٠م أطلق على الحى الذى رحلوا منه اسم حى الجلاء ولازالت هذه التسمية قائمة حتى اليوم أما اليهود فقد رحلوا إلى مدينة المخا على ساحل البحر الأحمر ثم عادوا مرة أخرى إلى صنعاء وبنوا لهم مساكن خاصة إلى الغرب من بئر العزب العثمانية على بعد ٥ر١كم من صنعاء القديمة ويعرف الحى الذى أقاموه باسم (حى اليهود) أو (قاع اليهود) والذى يتصف بازقته الضيقة المستقيمة تنتشر فيها دكاكين صغيرة مقتطعة من المنازل تستخدم لأغراض التجارة، وتخطيط حى القاع على أساس نظام الحارات أو الفسح حيث تشيد المنازل حول فسحة من الأرض (ميدان أو بستان صغير) تحيط بها المنازل من كل جانب عدا مدخلها وصممت المنازل بحيث يسهل الانتقال من بيت إلى آخر، ومنازل هذا الحى مبنية باللبن (أجر مجفف بالشمس) والمغطى بطبقة من الملاط . وكان يحيط بحى قاع اليهود سور صغير له بابان الأول غربى يعرف باسم باب القاع والآخر من الجهة الجنوبية ويعرف باسم باب البلقة والذى أعيد بناوءه سنة ١٨٧١ ـ ١٨٧٩م [١] وقد ظل اليهود فى صنعاء حتى سنة ١٩٥٠م حينما طردوا

---

(١) عباس فاضل السعدى (د) : المرجع السابق ، ص ٨٧.

من اليمن وانتقلوا إلى فلسطين [١] ثم ما لبث هذا الحى أن دخل ضمن منطقة بئر العزب عندما قام العثمانيين بعمل سور يضم بئر العزب وقاع اليهود وكان هذا السور مبنى من الطين والحجارة بإرتفاع أربعين قدما [٢] وفتحوا بهذا السور عدد من الأبواب منها باب خزيمه فى الضلع الجنوبى الشرقى وباب الشقاديف فى الضلع الشمالى الشرقى وباب الروم وباب العبيلة فى الضلع الشمالى وباب القاع فى الضلع الغربى وباب البلقة فى الضلع الجنوبى كما فتحت عدة أبواب أخرى باتجاه الزيادة الأيوبية (نحو الشرق) منها باب السباح وباب المستشفى وباب شعوب الموجود فى منطقة التقاء سور صنعاء القديمة وسور بئر العزب فى الضلع الشمالى [٣].

وفى الفترة من ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠م قام العثمانين باعادة بناء غمدان من صنعاء القديمة وأطلق عليه اسم باب اليمن وإلى الجنوب منه بنى العثمانيين مبانى خاصة كثكنات للجيش التركى فى نفس فترة بناء باب غمدان ومن أشهر تلك الثكنات والتى ما تزال باقية حتى يومنا هذا، ثكانات الفرسان وكان يطلق على هذه المبانى وميادينها اسم العرضى نسبة إلى استعراض الجيش فيها وما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم كما لا تزال هذه المبانى حتى يومنا هذا تستخدم كثكنات لبعض الوحدات العسكرية اليمنية الحديثة ومنها الشرطة العسكرية وسلاح الاشارة ولجنة الدفاع الوطنى والمؤسسة الاقتصادية العسكرية .

وعندما استولى الائمة على صنعاء من أيدى العثمانيين فى القرن ١٨،

---

(١) ر ، ب ، سرجنت : الطبقات الاجتماعية ، المرجع السابق ، ص ١٤٣

(٢) بالوم كوستا : صنعاء ، المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٣) مصطفى عبد العام تمام : المرجع السابق ، ص ٢٠١

١٩م قاموا ببناء بعض القصور والبساتين فى المنطقة ما بين بئر العزب والزيادة الأيوبية حيث قام الإمام المتوكل سنة ١٧١٦ ـ ١٧٢٧م ببناء قصر له وكذلك مسجد سمى باسمه كما قام ابنه المنصور حسن ١٧٢٧ ـ ١٧٤٨م بتسمية منطقة القصور باسم المتوكلية نسبة إلى أبيه وبنى فى المنطقة العديد من الحمامات والعمائر الأخرى ولما استعاد العثمانيين صنعاء سنة ١٨٧٠م هدموا قصر المتوكل وبنوا مكانه مستشفى وعندما طُرد الأتراك من اليمن فى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩م قام الإمام يحيى بهدم المستشفى وبناء قصر خاص به على انقاضه سمى باسم دار السعادة (المتحف الوطنى حاليا) كما بنى العديد من القصور الأخرى من أهمها دار الشكر [١] وقصور أخرى تشغلها حاليا وزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة والمتحف الحربى والقصر الجمهورى وكانت هذه القصور محاطة بالبساتين والحدائق الغناء لتكون متنزها لأفراد البيت الإمامى وعائلاتهم.

وبذلك امتدت صنعاء لتشمل المدينة القديمة وبئر العزب العثمانية وقاع اليهود والمتوكلية وقصور الائمة الأخرى.

وقد تضاعفت مساحة صنعاء بعد طرد الأتراك بحيث أصبحت مساحتها (٢٤٣هكتار) منها ١١٤ هكتار تمثل بئر العزب و١١ هتكار قاع اليهود و(١١٨) هكتار صنعاء القديمة والأيوبية، أما طولها فبلغ نحو (٥ر١٢كم) وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٠٥م حوالى (٢٠ ألف نسمة)[٢].

---

(١) بالوم كوستا : صنعاء ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤

(٢) عباس فاضل السعدى (د) : المرجع السابق ، ص ٩٠ ـ ٩١

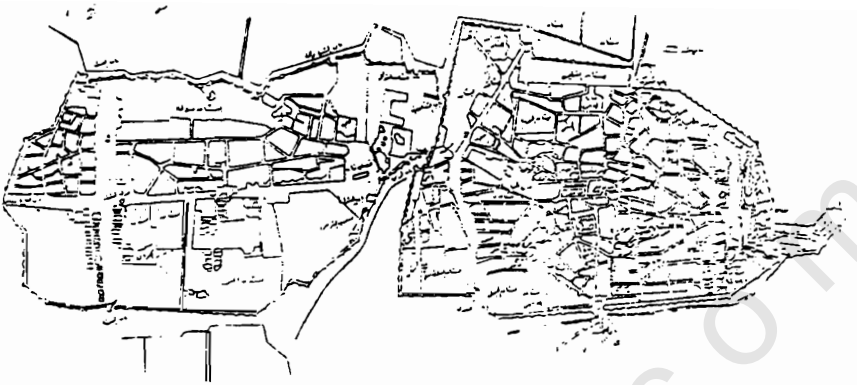

خريطة رقم (٣) : خريطة رسمت لمدينة صنعاء سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م ورفعت إلى الوالى العثمانى على اليمن مصطفى عاصم باشا

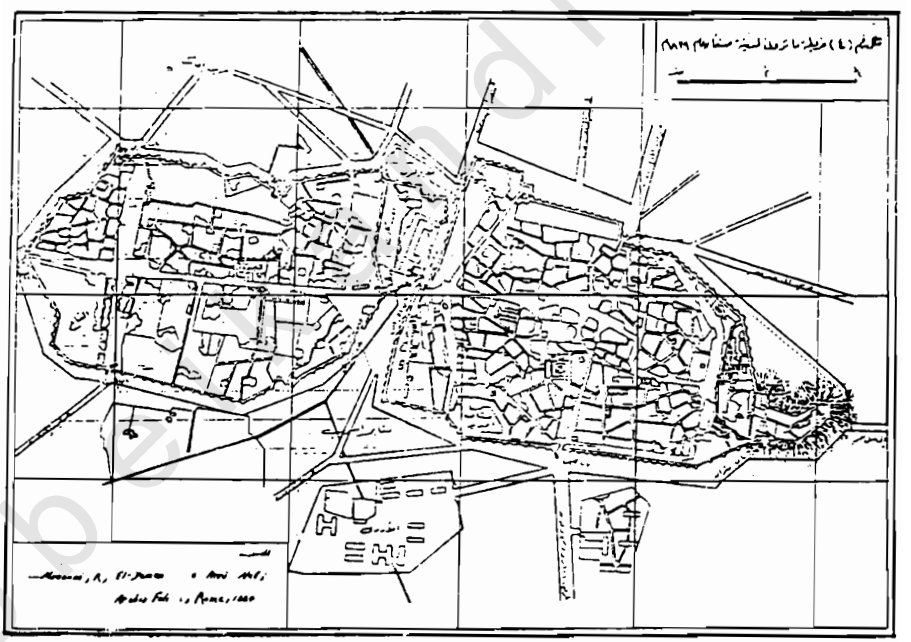

خريطة رقم (٤) خريطة رسمها مانزونى لصنعاء سنة ١٨٧٩م

وقد زار مدينة صنعاء العالمان الألمانيان كارل رانيانز Carel Rathiens وفون ووسمان Hermonn Von Wissmann وقاما بوصف المدينة سنة ١٩٢٩م ووضعا خريطة لها وقد ذكرا أن مساحة صنعاء آنذاك بلغت حوالى مئة وثمانية وستون هكتار (١) وقد سطروا فى كتابتهم ما يلى يمكن الحديث هنا عن مدينتين الشرقية تحمل اسم صنعاء وهى قديمة ومرتفعة شرقا حتى سفح جبل نقم وذلك بارتفاع خمسة عشر مترا ويقع الشطر الأعظم من المدينة فى قاع الوادى المنبسط وغالبا ما يكون الجزء الغربى منها فى أوقات المطر منعزلا عن باقى المدينة ولا يمكن العبور منه وإليه إلا عن طريق جسر واحد فقط ، حيث يندفع ماء الفيضان فى مجرى رملى عرضه ٢٠ ــ ٣٠م، أما أسوار المدينة فقد بنيت من كتل الطين والحصى المعروف محليا باسم الزابور . . . وللسور أبراج مستديرة عددها (١٢٨ برجا) يبعد كل منها عن الآخر مسافة (٥٠) مترا كما يفتح بجدار السور أربعة أبواب رئيسية محورية باتجاه الجهات الأصلية هى باب اليمن فى الجنوب وباب شعوب فى الشمال وباب القصر (٢) فى الشرق وباب السبح فى الغرب وكان كل باب من هذه الأبواب يغلق ليلا وعليها حراسة مشددة . أما منتصف المدينة الغربى الذى يقع فى منتصف سهل الوادى فقد تطور إلى عدة احياء وأحيط بسور وفى أقصى الغرب يوجد حى اليهود وهو عبارة عن مدينة صغيرة قائمة بذاتها وتتكون منازل اليهود عادة من طابقين(٣) .

---

(١) مصطفى عبد العام تمام : المرجع السابق ، ص ١٩٠ (٢) يعرف حاليا باسم باب سترادن .

(٣) RATHJENS CARL UND WISSMAN HERMANN V : Sana'a Eiue Sud Arbische Stadt Land Scheft Zeitschrift der Gese II Shaft dur Erdkunde Zu Berlin 1929, P . 329 - 353 .

(د) هبد الله الشيبة : المرجع السابق ، ص ٥٥ ـ ٥٦ وزيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤١

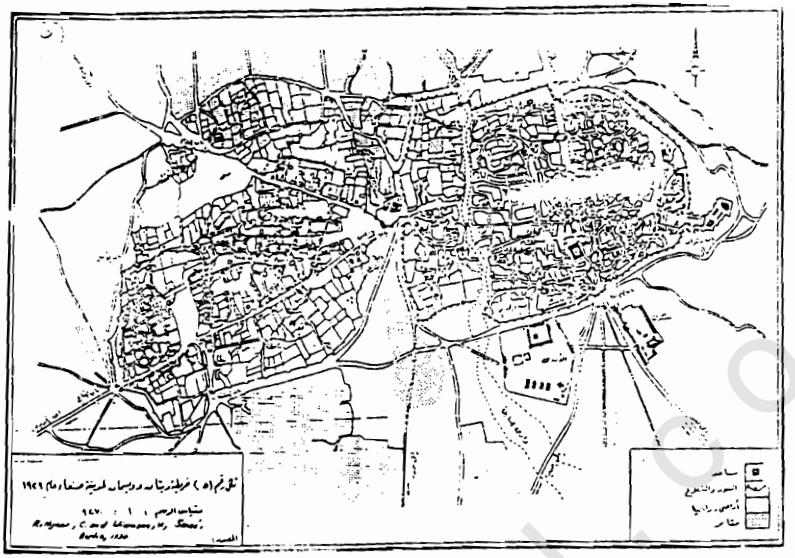

خريطة رقم (٥) خريطة رسمها راتبانز وفون نيسمان لمدينة صنعاء سنة ١٩٢٩م

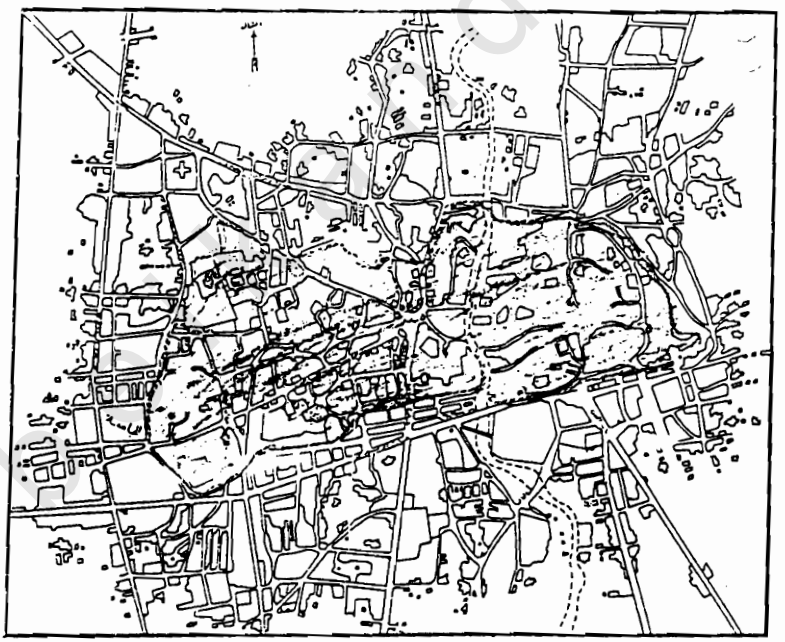

خريطة رقم (٦) خريطة توضح التوسعات الحديثة لمدينة صنعاء

أما عن توسعات المدينة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وقيام النظام الجمهورى فقد حدث فيها أول تغير لمنطقة بئر العزب ومنطقة المتوكلية وقصور الائمة ولم يسلم من التغيير سوى المدينة القديمة وحى اليهود وأن كان الأخير تغير بعض الشيء حيث تم هدم باب القاع فى الغرب لتوسيع شارع جمال عبدالناصر الذى امتد حتى ميدان التحرير (شراره سابقا) والذى كان يمتد من باب السباح ـ الذى هدم هو الآخر لتوسيع الميدان ـ إلى دار البشائر فى الغرب ومن دار السعادة والشكر فى الشمال إلى حدود ثلاثة قصور أصبحت حاليا تعرف باسم وزارة التربية والتعليم ـ وزارة الصحة ـ المتحف الحربى .

كما هدمت أغلب أسوار مدينة صنعاء لكى تمتد الشوارع خارج المدينة لكى تستطيع السيارات دخول المدينة وكان ذلك جريمة كبرى ترتكب فى حق مدينة صنعاء الساحرة .

لقد كان سكان صنعاء فى بداية الثورة حوالى ٥٥ر٠٠٠ ألف نسمة ونظرا لكثافة هذا العدد الهائل داخل أسوار المدينة حدث الانفجار السكانى والعمرانى حيث امتدت يد العمران بعد الثورة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا تملأ الأودية والتباب بالآف المنازل وعشرات القصور ومئات المستشفيات والوزارات ومئات المدارس والمعاهد العليا ـ وجامعة صنعاء وغيرها من المنشآت الاقتصادية والصحية والأمنية والعسكرية والتعليمية بحيث وصلت غربا إلى حدود جبل عيبان وشرقا حتى جبل نقم وجنوبا حتى منطقة حزيز وشمالا حتى مدينة الروضة .

وقد تعددت الانماط المعمارية بين القديم والحديث ، فقد قامت الثورة ضد الاستبداد والعزلة وكل رموزه وللأسف كان ثورة أيضا ضد العمران

المتوارث وأساليب البناء القديم فغزت الأساليب الحديثة والمواد الحديثة أيضا المتمثلة فى الأسمنت ومشتقاته بحيث حاصرت كتل الأسمنت صنعاء القديمة وخنقتها ولكن تيقظ الشعب والدولة وشعروا بفداحة الجريمة التى ارتكبوها وبدأوا يتجهون نحو الاصالة وتجميلها بالأساليب الحديثة التى لا تخل بأصالة الموروث المعمارى كما تداركوا فعلتهم الشنعاء بحق المدينة القديمة وأسوارها وتوجهوا نحو هيئة اليونسكو التى مدت يد العون واعلان أن صنعاء مدينة عالمية يجب الحفاظ عليها ومازالت حتى يومنا هذا أدوات التجديد والترميم تعمل لاصلاح الخطأ واعادة الجمال لمدينة صنعاء فأنشأت العديد من المدارس والمعاهد الفنية والحرفية لتخريج العمالة اللازمة لكى تحافظ على المدينة القديمة وبناء المساكن الحديث بأساليب تخطيطه حديثة ولكن بأساليب بنائية قديمة فمزجت بين القديم والجديد فخلقت بذلك أسلوب بنائى جديد ومن أهم الاحياء الجديدة التى انشأت فى صنعاء: حى الصافية وحده ونقم والسبعين والمدينة السكنية فى الجهة الجنوبية وحى القيادة والحصية والزراعة والكويت والاذاعة وسبأ والمطار فى الشمال وحى القصر ونقم وظهر حمير فى الشرق وحى الجامعة ومعين والستين، وعصر الأعلى وعصر الأسفل وهائل سعيد وحى القليس وصلاح الدين فى الغرب وكل حى من هذه الاحياء ينقسم إلى حارات صغيرة لكل منها اسم.

وتمتاز مدينة صنعاء القديمة بتقسيمها إلى عدة أسواق تجارية كل منها عبارة عن حوانيت مفتوحة فى الطابق الأرضى المطل على الشارع تباع فيها المصنوعات الفضية والذهبية والحريرية والخشبية إلى جانب المنتجات الزراعية كالعنب والقمح وغيرها.

وكان لكل نوع من أنواع التجارة أو الصناعة سوق مخصص لها يعرف باسمها. وكان النظام الاقتصادى والتجارى لأسواق صنعاء يسير وفق أسواق مركزية تتركز فى منطقة الجامع الكبير، وقد بلغ عدد الأسواق بها أكثر من أربعين سوقا فى النصف الأول من القرن الحالى ولكن لم يبقى منها الآن سوى ٢٨ سوقا منها: سوق البقر، سوق الحمير، سوق الحطب، سوق القصب، سوق المحدادة، سوق المنجارة، سوق النقالة (المشغولات الجلدية) سوق الحلقة، سوق السراجين، سوق العنب، سوق الكوافى، سوق المدائع (الشيشة) سوق الجص، سوق السلب (الحبال) سوق البساطة (التجار الذين يفترشون الشارع) سوق البز (القماش) سوق العطارة، سوق الحب (القمح وأمثاله) سوق الخبز، سوق السمن، سوق المخلاص (الفضة) سوق الزبيب، سوق النظارة (الزيت والكيروسين) سوق الفتله (الخيوط) سوق المدر والاسرجه (الدر = الأوانى الفخارية، الاسرجة = سروج الدواب)[١].

وقد انتشرت حول الأسواق العديد من السماسر (وكالات) لم يتبقى منها سوى أحد عشرة سمسرة تستخدم لتخزين التجارة وسكن أصحاب البضائع وبعضها يستخدم كمصارف لتبادل العملات الفضية والذهبية وبعضها عبارة عن مخازن متخصصةلنوع معين من التجارة مثل سمسرة العنب وسمسرة النحاس وسمسرة الحبوب وسمسرة البهارات (الحوائج)[٢].

---

(١) السياغى، حسين أحمد: قانون صنعاء فى القرن الثانى عشر الهجرى، ص ١٨ - ٤٣. زين بن على عنان: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢) عبد الرحمن الحداد (د): المرجع السابق، ١٦٤ - ١٦٥

ولم تكن الحركة التجارية متروكة لهوى أصحابها بل كان هناك قانون خاص يحدد الصورة التى يمكن التعامل بها فى أسواق صنعاء وأقدم قانون عثر عليه يعود إلى سنة ١١٦١هـ أما قبل ذلك فلم نعثر على أى قانون.

وقد صدر قانون سنة ١١٦١هـ فى عهد الإمام القاسم عبدالله بن المتوكل أحمد وقد شمل جميع أنواع التجارة والحرف الرفعية والوضيعة من بيع وشراء ونقل وحمالة وأجورها إلى جانب تحديد معدلات الربح والمكاييل والمقاييس والعقاب والثواب (١).

وكان كل سوق من هذه الأسواق يأخذ شارعا بأكمله أو أكثر من شارع حسب حجم الحركة التجارية فيه ولكل سوق منها استقلالية تامة كما كان تجار كل سوق يجتمعون وينتخبون من بينهم شيخا عليهم ولذلك كانت هذه الأسواق على درجة عالية من النظام والأمن والتطور(٢).

---

(١) السياغى ، حسين أحمد : قانون صنعاء ، ص ٢١

(٢) ر . ب ـ سرجنت : الطبقات الاجتماعية ، المرجع السابق ، ١٤٣

obeikandl.com